دكتور بهاء الأمير

رسم المصحف وكلمات القرآن

السؤال

Mosab Khalifa

السلام عليكم ورحمة الله،

١- ما سر اختلاف الرسم القراني لبعض الكلمات في المصحف مع أن النطق والقراءة واحدة، مثل كلمة: إبراهيم،أحياناً نجدها: (إبرهم)، كما في سوره البقرة، آية: ١٢٤، أو نجدها: (إبرهيم)، كما في سوره الأنعام: آيه: ٨٣ ، وكذلك كلمة: الميعاد أحيانا تكون: (الميعاد)، وأحيانا: (الميعد)، وكذلك كلمة أيام،أحياناً تكون: (أيام)، وأحياناً: (أييم) ... هل هذه الاختلافات كانت منذ جمع المصحف سابقاً أم حدثت في فترات لاحقة، وما السر في اختلاف الرسم وتوحيد النطق؟

٢- هل أسماء سور القرآن توقيفية أم اجتهادية، مثل سوره الاسراء وسورة بني إسرائيل؟

الرد

دكتور بهاء الأمير

١

القرآن كتاب صوتي

قبل مسائل رسم المصحف، هناك مسألة أخرى أهم ولابد من تجليتها أولاً، وهي أن القرآن كتاب صوتي، وينفرد عن أي كتاب آخر في تاريخ العالم، مقدساً كان أو علمانياً، بأنه الكتاب الوحيد الذي قرئ أولاً وحفظ صوتياً ثم كُتب، وأي كتاب آخر غيره كتب أولاً ثم قرئ.

ولذا فإن القراءة وصوتيات النص، كلمات وحروفاً، في أي كتاب خلاف القرآن تابعة لرسمه ومقيدة به، أما في القرآن فرسم كلماته وحروفه تابع لصوتياته ومقيد بها.

٢

خصائص القرآن الصوتية الفريدة

مما ينفرد به القرآن أيضاً أن صوتياته حفظت حفظاً دقيقاً لا نظير له في أي كتاب آخر.

فصوتيات القرآن تشمل ليست فقط طريقة نطق الكلمات والحروف، بل وأيضاً خصائص كل حرف الصوتية الدقيقة، مثل مخرجه وتشكيله وطريقة أدائه صوتياً، والأصوات الإضافية المصاحب لنطقه منفرداً أو عند الانتقال من حرف إلى آخر، وطريقة الانتقال الصوتي من كلمة إلى أخرى، وهي التي تعرف بقواعد التجويد.

٣

نقل القرآن بالمشافهة والأسانيد

بسبب هذه الخصائص الصوتية الدقيقة يعتمد نقل القرآن بين الأجيال على المشافهة والسماع والتلقي، ولم يحدث في أي زمن منذ نزل القرآن وسمعه الصحابة عن النبي عليه الصلاة والسلام وحتى هذه اللحظة أن انفصل المستوى الشفهي السماعي في نقل القرآن وتعلمه عن مستوى الرسم والكتابة.

وحين جمعت اللجنة التي شكلها أبو بكر الصحف التي كتب فيها القرآن في مصحف واحد كان ذلك بمطابقة المكتوب مع المحفوظ عند اثنين من قراء الصحابة، وإلى اليوم لا يطبع المصحف إلا بعد أن مراجعة أهل الأسانيد له وإقرارهم بمطابقته لما يحفظونه وتلقوهشفوياً .

وأهل القرآن هؤلاء ليسوا من يحفظونه من المصاحف، وإن كان لهم على ذلك ثواب عظيم، ويساعدهم عليه شيوع المصاحف المسموعة في الإذاعات والقنوات ووسائل التسجيل الصوتي، فأهل القرآن الحقيقيون والمعول عليهم في حفظه هم من تسلموه مشافهة ممن قبلهم ويسلمونه لمن بعدهم في سلاسل متصلة إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

وللعلماء وأهل الأسانيد عبارة يتوارثونها عبر القرون ويحذرون فيها من أخذ القرآن عمن قرأه أو حفظه من المصحف دون التلقي والضبط الشفوي، فيقولون:

"**لا تأخذ العلم من صُحفي ولا القرآن من مصحفي**".

٤

كتابة الآيات

القرآن نزل منجماً ، كل آية أو بضع آيات وحدها، وهنا مسألتان مهمتان.

الأولى أن كثيراً من الصحابة كانوا يكتبون آيات القرآن وهي تتنزل فيما يتيسر لهم من وسائل الكتابة، لكي يتمكنوا من المدارسة والحفظ، ولكن كتابة بعضهم كانت عشوائية أو غير منهجية، فبعضهم كان يكتب الآيات أو السور في صحفه بترتيب نزولها، أو بترتيب سماعه لها، وبعضهم اختلط ما تلقاه وسمعه من النبي مباشرة بما سمعه من غيره من الصحابة، وبعضهم كان يضع تفسيراً للكلمات التي لا يفهمها داخل ما يكتبه.

ولذا كان للنبي كتاب متخصصون متفرغون وملازمون له لتدوين الوحي والآيات أمامه وفي حضوره، وعددهم ٤٤ كاتباً .

وأشهرهم وأكثرهم ملازمة له زيد بن ثابت، وقد حضر العرضة الأخيرة للقرآن بعد أن اكتمل واستقرت آياته في سورها وترتبت السور، ولذا اختاره أبوبكر وعمر ليكون رئيس اللجنة التي قامت بتحرير نص أول مصحف، رغم أنه لم يكن أكبر الصحابة ولا أرفعهم مقاماً ، لأن المهمة التي اختاروه لها هو صاحبها وأصلح الصحابة لها بحضوره العرضة الأخيرة، وبنص النبي على أنه الأمين على الكتاب، والحافظ له من التبديل، ففي سنن الترمذي عن زيد بن ثابت أنه قال:

"**أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي**".

٥

جمع القرآن وتحرير المصحف

اللجنة التي شكلها أبو بكر برئاسة زيد بن ثابت لم تتفرد بكتابة القرآن في أول مصحف، بل قامت بالعملية التي تسمى في الأوساط العلمية الحديثة بتحرير النص، أي جمع جميع النصوص المكتوبة عند أصحابها، ومطابقتها بالمحفوظ شفوياً عند اثنين من الصحابة، ثم كتابة النص.

والمسألة المهمة الثانية هي أن هذه اللجنة لم تأخذ في المستوى المكتوب سوى بما أقر صاحبه أنه كتبه سماعاً عن النبي عليه الصلاة والسلام، وها هنا موضع المسألة التي تتعلق برسم المصحف ومفتاح الإجابة عن الأسئلة التي تسألها.

٦

موافقة رسم المصحف للإسناد الشفوي

وجود كتاب متخصصون فرغهم النبي لكتابة الوحي وما يتنزل من الآيات، ورواية جمع القرآن وكتابة المصحف الأول في صحيح البخاري وكتاب المصاحف لابن أبي داوود، تعني أن الذين كتبوا الصحف التي كتب منها المصحف الأول إنما كتبوها بين يدي النبي وفي حضوره وهم يسمعونها منه.

والمسألة أو السؤال هو: هل كانوا يكتبون الآيات من تلقاء أنفسهم وبأي طريقة، أم بإرشاد من النبي، أو بطريقة أخرى هل كان رسم الكلمات في هذه الصحف ثم في المصحف الأول توقيفياً أم متروكاً لكل واحد حسب اجتهاده؟

ولهذا السؤال إجابتان، إحداهما لا يوجد ما يثبتها، والأخرى لا تقبل النفي.

فالإجابة الأولى هي أنهم كتبوا رسم الكلمات في الصحف بإرشاد النبي لهم إلى كيفية رسمها، وهو ما لا يمكن إثباته لعدم وجود نص صريح عليه.

والإجابة الثانية هي أنهم حين كتبوا بين يدي النبي وهم يسمعون منه أقرهم على ما يكتبونه، ولو كان ما يكتبونه يخالف صوتيات النص أو يفضي إلى تغييرها لنبههم إليه بمصدر العلم الأعلى، وهو الوحي الذي يتنزل عليه.

والمسألة التي تهمنا هنا ليست هل الرسم توقيفي أم لا، بل أن ذلك يعني إقرار النبي بعدم مخالفة الرسم للصوت أو إخلاله بدقائقه، وهذه هي المسألة التي لا تقبل النفي.

٧

قرائن موافقة رسم المصحف لصوتيات القرآن

من القرائن غير المباشرة على ارتباط الرسم في الصحف التي كتبت في عهد النبي، وكذلك في المصحف الأول الذي ورثها بإقرار النبي، عدم وجود قاعدة ثابتة في الكتابة، ولو كان الأمر اجتهاداً محضاً لكان على قاعدة واحدة لا تختلف.

ولكن في المصحف توجد الكلمة الواحدة مكررة في عدد كبير من الآيات، ثم تجدها رسمت في مواضع برسم وفي مواضع أخرى بآخر، وأحياناً ترسم الكلمة في جميع المواضع برسم واحد ما عدا موضع واحد.

وليست هذه هي القرينة، بل القرينة أنه عند التأمل في هذا الاختلاف نجد أنه يشير إلى اختلاف في الدلالة أو يصدر إشعاعاً في المعنى، أو يوافق الاختلاف في نطق الكلمة بين هذا الموضع وذاك، أو يوافق حكماً صوتياً أو طريقة في الوقف تنفرد بها في موضع عن بقية المواضع، مما هو ثابت بالأسانيد الشفوية.

فمثلاً كلمة: ﴿بِهَٰدِي﴾ وردت في آيتين تبدوان متماثلتين، في سورة النمل وسورة الروم، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾

وفي جميع المصاحف العثمانية رسمها في سورة النمل بالياء، وفي سورة الروم من غيرها: ﴿بِهَٰدِ﴾.

ويبدو ذلك مجرد اختلاف في الرسم، ولكن هذا الاختلاف يوافق اختلافاً في الحكم عند الوقف، إذ الوقوف على موضع النمل بإثبات الياء، وعلى موضع الروم بحذفها وسكون الدال.

٨

رسم الكلمات في المصاحف العثمانية

حين قامت اللجنة التي شكلها عثمان بن عفان برئاسة زيد بن ثابت أيضاً بنسخ عدة مصاحف من المصحف الأول لإرسالها إلى الأمصار، من أجل ضبط القراءة، وتوفير مصحف مرجعي في كل مصر، كانوا يبحثون عن الصحابة ويأتون بهم من كل مكان لسماع الآيات منهم كما سمعوها عن النبي.

وحين رسمت هذه اللجنة الكلمات في المصاحف تركتها خالية من نقط الإعجام التي تميز الأحرف المتشابهة، رغم معرفة العرب بالنقط واستخدامهم لها، وتركوها خالية من الحركات، فصارت الكلمة التي وردت بإسنادها عن النبي بقراءات مختلفة تحتمل القراءة بهذه القراءات، وضابط ما يقرأه أهل كل مصر أو بلد هو السماع ممن نزل فيها من الصحابة.

أما الكلمات التي لا يمكن جمع القراءات التي وردت بها عن النبي في رسم واحد، فقد رسموها في بعض المصاحف برسم، وفي بعضها بآخر، وأيضاً الضابط هو السماع الذي لا ينفصل عن الرسم، ولا يستقل الرسم عنه،

٩

رسم كلمة إبراهيم

في المصاحف العثمانية التي نسختها هذه اللجنة رسمت كلمة: ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾، هكذا بياء بعد الهاء، في جميع مواضعها في القرآن دون استثناء، في مصاحف مكة والمدينة والمصحف الإمام.

أما في مصاحف الكوفة والبصرة والشام فقد رسمتها بياء مثل بقية المصاحف في جميع مواضعها، ما عدا مواضع سورة البقرة، وهي خمسة عشر موضعاً، فرسمتها من غير الياء هكذا: ﴿إِبْرَٰهِۧمَ﴾.

وهذا الاختلاف في رسم كلمة إبراهيم في سورة البقرة عن بقية سور القرآن في هذه المصاحف يوافق قراءة الإمام ابن عامر الدمشقي.

وحين نقول قراءة فلان، فذلك يعني أنها وصلت إليه بسندها عن النبي هكذا، وليس أنه قرأها هكذا من عند نفسه.

وابن عامر له راويان، قرأ الأول منهما، وهو هشام، كلمة: "**إبراهيم**" في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن بألف بعد الهاء هكذا: "**إبراهام**".

والراوي الثاني، وهو ابن ذكوان، يوافقه بخلف عنه في مواضع سورة البقرة الخمسة عشر، فيقرأها بالوجهين: "**إبراهيم**" و: "**إبراهام**"، بينما يقرأها كبقية القراء: "**إبراهيم**" في بقية السور.

وأحد وجوه تفسير حذف الياء من كلمة: ﴿إِبْرَٰهِۧمَ﴾ في مواضع سورة البقرة، أن ذلك لكي تحتمل القراءة بالألف والياء.

١٠

إبراهام وإبراهيم

تعدد القراءات في الكلمة الواحدة له فوائد وحكم عديدة، منها الإشارة إلى معنى لا يمكن إدراكه إلا بهذا التعدد.

وقراءة اسم أبي الأنبياء: "**إبراهيم**" و: "**إبراهام**" تحمل معلومة تاريخية خفية، وهي أنه عليه السلام كان يحمل الاسمين معاً، أو حمل اسماً منهما في فترة من حياته وحمل الآخر في فترة أخرى.

وفي سفر التكوين في التوراة اسم أبي الأنبياء من أول السفر إلى الإصحاح السابع عشر: "**إبرام**"، وفي بداية الإصحاح السابع عشر:

"**ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له: أنا الله القدير سر امامي و كن كاملاً ... فلا يُدعى اسمك بعدُ إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم**".

ومن بعد هذه الفقرة في سفر التكوين يتحول اسم أبي الأنبياء في التوراة كلها إلى إبراهيم.

١١

رسم كلمة الميعاد

جاءت كلمة: الميعاد في القرآن ست مرات، رسمت في خمس منها بالألف بعد العين: ﴿ٱلۡمِيعَادَ﴾، وفي موضع واحد بغيرها: ﴿ٱلۡمِيعَـٰدِ﴾، وهو موضع سورة الأنفال.

وبين المواضع الخمسة التي رسمت فيها بالألف والموضع السادس الذي رسمت فيه من غيرها فرق واضح في المعنى يفسر هذا الاختلاف في المبنى وبنص الآيات، فالآيات الخمسة التي رسمت فيها بالألف: ﴿ٱلۡمِيعَادَ﴾ هو ميعاد من الله وصدر منه عز وجل فعلاً ، وميعاد الله قطع لا يتخلف ولا يتغير.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾

أما في الموضع السادس في سورة الأنفال فرسمت من غير الألف: ﴿ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ لأنه من البشر للبشر فيجوز أن يتأخر أو يتخلف، وأيضاً لأن الميعاد في هذا الموضع ميعاد افتراضي لم يحدث.

وموضع الأنفال هو قوله تعالى:

﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾

فحذف الألف من هذا الموضع وتقليل مبنى الكلمة بها لبيان نزول درجة الميعاد عن الدرجة التي في المواضع الخمس الأخرى، ولأنه افتراض لميعاد لم يوعد فعلاً ، والقاعدة أن زيادة المبنى تؤكد المعنى وتقويه.

١٢

رسم كلمة أيام الله

رسمت اللجنة التي نسخت المصاحف العثمانية كلمة: ﴿أَيَّامِ﴾ في القرآن كله هكذا بألف بعد الياء في جميع المصاحف، ما عدا موضعاً واحداً ، رسمت فيه الكلمة: "**أيام**" بالألف في المصحف المكي والشامي والإمام، ورسمتها بياءين: ﴿بِأَيَّىٰمِ﴾ في المصحف المدني والكوفي والبصري.

وهذا الموضع هو قوله تعالى في سورة إبراهيم:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾.

ولهذا تفسير لغوي ويرتبط بالقراءات، فهذا هو الموضع الوحيد للكلمة الذي تدخل عليها فيه باء الجر، ودخولها عليها يجعل الهمزة التي في أولها متوسطة بحرف زائد متصل بها رسماً، وهو ما يجوز معه لغة تسهيل الهمزة بإبدالها ياءً، وهو ما يوافق قراءة حمزة الكوفي عند الوقف عليها، وربما يكون هذا الرسم دلالة على جواز إبدال الهمزة ياءً.

والله أعلم.

١٣

أسماء سور القرآن

في صحيح البخاري عن السيدة عائشة أنها قالت:

"... **فقالت فاطمة: أسر النبي إلّي: أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضور أجلي**".

فدل ذلك على أن النبي عليه الصلاة والسلام رتب القرآن الترتيب النهائي قبل وفاته، وعرضه على الصحابة، خصوصاً كتاب وحيه، وبعضهم جمع القرآن وحفظه كاملاً في عهد النبي، مثل زيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ، وعلى هذه العرضة الأخيرة أقامت اللجنة العلمية برئاسة زيد بن ثابت ترتيب المصحف الأول.

وهو ما يعني ضرورة وجود أسماء للسور، لكي يمكن التمييز بين نهاية سورة وبداية التي تليها، ولو لم تكن للسور أسماء لاختلطت السور وعرض النبي على أصحابه القرآن، ثم كتبوه هم في المصحف وكأنه سورة واحدة.

ويؤكد وجود أسماء السور في زمن النبي عليه الصلاة والسلام أن بعض أسماء السور ورد نصاً في الأحاديث كما هي موجودة في المصاحف إلى اليوم، وثبوت بعض الأسماء يدل على ثبوت الأصل، وهو وجود أسماء للسور تعرف بها في عهده عليه الصلاة والسلام.

ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم أن النواس بن سمعان الكلابي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

"**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران**".

وفي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب سأل النبي عن ميراث الكلالة، أي الذي لا ولد له ولا والد، فقال له النبي:

" **يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء**"

وأيضاً هناك أخبار تثبت وجود أسماء السور كما هي إلى الآن في المصحف الأول الذي كتبته اللجنة التي شكلها أبو بكر، ففي سنن أبي داود ومسند الإمام أحمد أن ابن عباس قال:

"**قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين وإلى الأنفال وهي من المثاني فجعلتموهما في السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ...؟**".

وسؤال ابن عباس يعني أن سورتي الأنفال وبراءة كتبت في المصاحف العثمانية التي نسخت من المصحف الأول بأسمائها هذه، وأن هذه الأسماء كانت شائعة ومعروفة بين الصحابة"

دكتور بهاء الأمير

١٣ ذو الحجة ١٤٣٩هـ/٢٣ أغسطس٢٠١٨م